التعلّم الافتراضي ودعم قدرات اللغة العربية على التواصل

إعـــداد

د. خريستينا تشوبانوفا
جامعة القديس كليمنت أوخريدسكي
صوفيا – بلغاريا

يشكّل التعلّم جزءا لا يتجزأ من كامل عملية تعليم وتعلّم واكتساب اللغات الثانية بصورة عامة واللغة العربية بصورة خاصة. وللتعلّم التواصلي وجهان ألا وهما التعلّم من أجل الاستعمال والاستعمال من أجل التعلّم (Howatt, 1984).

إن ظهور التعليم الافتراضي فتح الباب على مِصراعيه واقتحمت التكنولوجيات الحديثة وغرقت مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وكان هذا المجال حتى ذلك الحين لا يزال يحافظ على جزء كبير من كلاسيكيته رغم بعض الاختلافات النظرية والتناظر "مع" أو "ضد" المنهجيات التواصلية والتكاملية في تدريس هذه اللغة لغةً ثانية بمراعاة طبيعة ازدواجيتها وتشكيلة استعمالاتها الاجتماعية.

على خلفية عدم وجود الدراسات المناقشة لفوائد وأضرار التعليم والتعلّم الافتراضي واكتساب اللغة العربية لغة ثانية، لا بدّ لنا من الاعتراف بأكثر الأوجه إيجابية للثلاثي الافتراضي المذكور. سأتطرّق هنا على خصوصيات التعلّم الافتراضي للغة العربية لغة ثانية ومساهمته لدعم قدرات اللغة العربية التواصلية لدى الدارسين.

1. من أهمّ ميزاته المرونة وسهولة الوصول حيث توفر بيئات التعلّم الافتراضية فرصاً جديدة للطلّاب للمشاركة في الفصول وفقاً لجدولهم الزمني الخاصّ. إنهم قادرون على التعلّم بالسرعة التي تناسبهم، ممّا يوفّر لهم طريقة مريحة لتنمية مهاراتهم.

2. التعلّم في الوتيرة الخاصة بكل طالب حيث يساعد عالمنا الرقمي الطلّاب على الوصول إلى مواد الحصة الدراسية في وقتهم الخاص. ويمكن للمدرّسين إنشاء مجلّدات على المنصّات الافتراضية تحتوي على محاضرات ودروس مسجّلة مسبقاً وملفّات وسائط متعدّدة (نصّية وسمعية-بصرية) وأدوات أخرى لتحسين التعلّم (مثل الألعاب والاختبارات الإلكترونية وغيرها).

3. تحسين مهارات إدارة الوقت حيث يوفّر التعلّم عن بعد الوقت الذي تقضيه الطلبة في التنقّل إلى الجامعة. ويمكنهم استخدام هذا الوقت لإنهاء الواجبات والمشاريع الصفّية.

وقد تحفّز الفصول الافتراضية الطلّاب على تحقيق التوازن بين العمل المدرسي ووقت الدراسة وأوقات الفراغ.

4. بناء العلاقات الشخصية حيث يستفيد الطلّاب من خبرات التعلّم الافتراضي من خلال الاهتمامات المشتركة ويمكن أن يساعدوا بعضهم البعض في الدراسة والبحث أو إنشاء مجموعات دراسية وتحقيق مشاريع مشتركة تقديمية أو إنتاجية. إنهم يتقنون بناء قدرات العمل الجماعي من خلال المحادثات والاستشارات وتحقيق المهام عبر الإنترنت. كما يساعدهم ذلك على تطوير مهاراتهم في التنشئة الاجتماعية.

5. المشاركة في المناقشات أو المناظرات عبر الإنترنت حيث يمكن للمعلّمين استدعاء الطلّاب في الفصول الدراسية عبر الإنترنت كما يفعلون في الفصول التقليدية فالمناقشة أو المناظرة من أكثر النشاطات الكلامية التي تساعد الطلّاب على المشاركة بالكلام والتركيز على استعمالاتهم اللغوية وتحسين مهاراتهم التواصلية والاستخدامات الاجتماعية الصحيحة للغة العربية.

6. الحصول الفوري على النتائج وتعليقات التقييم الراجع حيث يمكن للمدرّسين تقديم ملاحظات فورية للطلّاب مما يمنحهم مزيداً من الوقت لإجراء تصحيحات على عملهم ويقلّل من إجهادهم ويزيد من دوافعهم نحو التعلّم.

7. توظيف المنصّات الإلكترونية الحديثة مثل Canvas وMoodle وBlackboard وFlipGrid وZoom غيرها. ولا يزال تصميم أمثالها يتقدّم لتعزيز قدرات الفصول الإلكترونية وتجربة الطلّاب في مجال التعلّم والاكتساب للمادّة المعيّنة. وتوفّر هذه المنصّات طرقاً متنوعة لإشراك الطلّاب، سواءً كان ذلك من خلال الدردشات عبر الإنترنت، أو رفع أيديهم لطرح سؤال والتصفيق للتعبير عن التقدير أو المشاركة في مناقشات نشطة في مجموعات صغيرة أو المسابقات حيث يمكن لكل واحد حتى أن يقمّص شخصية افتراضية Avatar. وقد ازداد في الفترة الأخيرة عدد المنصّات الإلكترونية الخاصّة بتعليم وتعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها مثل ANAS - Arabic for Non-Arabic Speakers وEarabic وArabie وغيرها.

8. المزيد من الأدوات الإلكترونية تحت تصرّف الطلّاب حيث يتمتّع المعلّمون بفرص جديدة لتقديم الدروس للطلّاب في بيئات التعلّم الافتراضية. فهناك شبكات التواصل الاجتماعية والسبّورات البيضاء التفاعلية والعروض التقديمية متعددة الوسائط وأوراق العمل القابلة للطباعة والاختبارات التي يكون جزء منها على شكل المسابقة عن طريق مواقع إلكترونية مثل Kahoot! وغيرها، وبطاقات التقارير عبر الإنترنت والمدوّنات الفردية أو بالكتابة الجماعية في شبكات التواصل الاجتماعي أو عن طريق Google Doc ووما إليها من الأدوات، وقد ذكرت هنا فقط أدوات قليلة تتعامل مع اللغة العربية يستخدمها المعلمون لتعزيز التجربة التعليمية ممّا يساعد مساعدة ضخمة عملية التعلّم عند الطالب.

9. مواقع رسمية وخاصّة وفردية لتعليم وتعلّم اللغة العربية مثل "الجزيرة لتعليم العربية" و"تعلّم العربية أون لاين" و"ستوديو العربية" وهي تعرّضت للتصنيف والتحليل والمناقشة النقدية في دراسة د. ساجدة سالم أبو سيف (سالم أبو سيف، 2019).

بناءً على ما أشير إليه من إيجابيات، فقد أثبت التعليم الافتراضي كونه مؤسّسة تعليمية تعزّز شعور كلا المعلّم والطالب بأهمّية الابتكار والاعتماد على التكنولوجيا ويعوّد الطلّاب أكثر فأكثر على طريقة التعلّم المستقلّ والاعتماد على الذات. هذا لا يُلغي إطلاقا وإنما يقوّي قدرة

التواصل أثناء عمليتَي التعليم والتعلّم الفردي والجماعي ومن ثمّ تتقوّى قدرات اللغة العربية على التواصل أثناء تعلّمها لغةً ثانية وتُرفَع مهارات الطلّاب التواصلية باستخدام أساليب هذه اللغة في الحوار وفي الكتابة.

إنّ كلّ ما سبق ذكره يدلّ على أنّ المدرّسين هم المسؤولون بتقديم كامل الدعم والمساعدة التي يحتاج إليها الطلّاب، سواء عبر الأوساط الافتراضية، مثل منتديات الحوار، قاعات وحجرات الدروس الافتراضية، الإيميل وإلخ...، أو بشكل مكاني، عن طريق المؤسّسات التعليمية أو المكان الذي يتمّ فيه جزء من هذه الدروس. للمدرّس كذلك دور كبير في تحفيز الطلّاب وتشجيعهم على التفاعل فيما بينهم أثناء العملية الدراسية. كلّ هذا يتمّ من خلال اللغة العربية فهي الهدف والوسيلة في عملية تعلّمها التواصلي لغةً ثانية. كما ويتطلّب هذا كلّه من المدرّس في عملية تصميم المقرّر الإلكتروني الإلمام بالمناهج النظرية بتعليم اللغة والانتقاء بينها آخذا بعين الاعتبار أنّه لا يوجد هناك أسلوب واحد يكون هو الأفضل أو الأصحّ ومراعياً معايير جودة تصميم مقرّر الصفّ الافتراضي والذي يكون أحد أهدافه رفع مهارة التواصل اللغوي الاجتماعي لكلّ طالب على حدة.

بصرف النظر عن السمات السلبية التي لا بدّ أن ترافق كلّ ما ذُكر أعلاه من ميزات إيجابية، فإنّ التعليم الافتراضي لا يزال يتقدّم وسيظلّ إضافة متينة لأدوات عملية التعليم المكاني المعتاد. ويقع على عاتق المدرّسين والدارسين التعاون في سبيل تجاوز التأثيرات السلبية للتعلّم الافتراضي من أهمّها شعور الطالب بالوحدة والاعتزال والتعب بل والإحباط في بعض الأحيان ومشاكل الإنترنت والتكنولوجيات التي لا مفرّ منها. إنّ الألعاب والاستراحات القصيرة المتعدّدة والعمل في مجموعات صغيرة ديناميكية التغيير والكثير من الإستراتيجيات الأخرى تساعد في أحيان كثيرة لتغيير أجواء الصفّ ومزاج الأفراد كل على حدة. ومن دون شكّ نرجع هنا كالعادة إلى دور المدرّس المتميّز الذي كان ولا يزال يتفاهم ويتسامح ويحرّك ويحفّز ويمثل ويمزح ويضحّك ويرفع المعنويات وهو يتبع خطّة درسه في البيئة الافتراضية وقد تتحوّل إلى منتدى غير رسمي أو إلى مقهى افتراضي إذا طلبت الظروف. فمثلما يكون الهدف من التواصل الافتراضي هو نفس هدف التواصل وجهاً لوجه ألا وهو

تقديم وتبادل المعلومات والاستماع إلى الآخر والتفهّم (Mitchell-Holder)، بنفس هذا الكشل لا يزال أهمّ دور كلا المدرّس والدارس هو خلق الشعور المجتمعي في سبيل توفير الفرص المُثلى للتعلّم والاكتساب ومتابعة فكرة الانتماء إلى مجتمع الصفّ طيلة الدورة الدراسية بأكملها. وكذلك فإنّ الأستاذ المتميّز هو عالم نفس يعرف عن كثب خصوصيات طلّابه بمن فيهم من "بصريين" و"سمعيين" و"لغويين" و"عمليين" و"منطقيين" و"اجتماعيين" و"وحدويين" والمتميزين بسمات مختلطة من كلّ هؤلاء (أبو عمشة، 2017) فيوظّف كلّ هذه الخصوصيات في سبيل نجاح نشاط الصفّ وخطّة الدرس آخذا بعين الاعتبار قدرة كلّ فرد على المساهمة.

أمّا بما يخصّ اللغة العربية وتعزيز قدراتها التواصلية أثناء عملية تعلّمها واكتسابها لغة ثانية، فلعلّ التعليم الافتراضي وفّر فرصاً جديدة لتعلّم الطلّاب من أجل استعمالها، تنفيذا للواجبات المعيّنة، وبمبادرات منهم، في مختلف بيئات الدردشة ومنتديات المناقشة والتناظر وحتّى في وقت الفراغ حيث المقاهي الافتراضية والمقابلات غير الرسمية مع الأساتذة ومع غيرهم من طلّاب وضيوف وتبادل الأفكار باللغة العربية والتعلّم من تعبير الآخرين عن آرائهم. كما وقد زوّدهم فرصاً كثيرة جديدة لاستعمال اللغة العربية من أجل التعلّم (مثلا في الأمسيات الشعرية والثقافية والاستفتاءات والمسابقات الثقافية وغيرها من النشاطات التي تسهّلها الأدوات الإلكترونية).

التتابع المناسب بين النشاطات التزامنية وغير التزامنية المعتمد عليه في التعليم الافتراضي يعزّز قدرة الطلّاب على التعلّم كلّ واحد على وتيرته الخاصّة ويخلق مساحة غير محدودة تقريباً لكلّ فرد للمشاركة – بشكل حتمي أكثر في الأنشطة التزامنية حيث يتقدّم الطلّاب "الاجتماعيون" و"اللغويون" و"العمليون" أكثر من غيرهم في الوقت المحدود المتاح للتفاعل المتزامن؛ وبتعمّق أكثر وبوتيرة مختلفة عند كلّ فرد في الأنشطة غير التزامنية حيث يمكن للمحادثة باللغة العربية ألا تنقطع (McConnell, 2002) حتّى يعبّر أكثر الطلّاب خجلاً وانطواءً عن آرائهم وهم يطبعون بمفاتيح لوحة الكمبيوتر ببطء وبتردّد ممّا يزيد من استقلالية كلّ أنواع الطلّاب في استعمال اللغة العربية من أجل التعلّم وفي تعلّمها من أجل الاستعمال ويرفع القدرة اللغوية التواصلية لدى كلّ واحد.

لقد حاولت بعد الدراسات اكتشاف التمارين الإلكترونية المستخدمة في منهجية تدريس اللغة الأجنبية الأكثر ملاءمةً للممارسة والتواصل، والتي من شأنها تعزيز زيادة إنتاجية مها رات الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة فوجد الباحثون أنّ الجمع بين أنواع مختلفة من التمارين التكنولوجية المستخدمة في تطبيقات التعليم الإلكتروني في منهجية تدريس اللغة الأجنبية كان له التأثير الكبير على فاعلية ممارسة المهارات اللغوية في دورات تعلّم اللغة عن بعد. وبما يخصّ تمارين المحادثة الأكثر ملاءمةً في إطار الصفّ الافتراضي فهي العمل في مجموعات صغيرة تتكوّن مي شخصين أو ثلاثة أشخاص واستعمال العديد من المحفّزات المكتوبة والرسوماتية والسمعية البصرية لممارسة الكلام الفردي والخطاب الحواري وتطوير المهارة اللغوية التواصلية للطلّاب (Petr Hercik et al., 2015, E. Skocheva, 2018). الهدف هو الانتقال من مرحلة الاتّصال الخاضع للإشراف من قبل الأستاذ إلى القدرة على المشاركة في الاتّصال التلقائي والمستقلّ. سيضمن ذلك التوازن الأمثل بين التدريبات الإلكترونية الميكانيكية ومهامّ اللغة الإنتاجية التي تتطلّب تكامل مهارات الاتّصال الأربعة، مثل تمثيل الأدوار وملء الفراغ في قائمة معلومات. وفي هذا السياق لعلّ أنشطة التعليم المعتمد على المهامّ تكون هي أكثر تكاملاً للمهارات الأربع إذ يمكن تنفيذها خلال وخارج حصّة الدرس الافتراضي، في واقع الحياة ومن خلال أنشطة تزامنية وغير تزامنية تجمع بين الاستماع والكلام والقراءة والكتابة وتشرك كامل قدرات الطلّاب اللغوية والتواصلية.

إنّ مؤسسات التعلّم الافتراضي تضمّ، إلى جانب الصفوف الافتراضية، المكتبات والمتاحف الافتراضية أيضا والتي لا يزال يتنامى توفّرها في البيئات الإلكترونية لبلاد الوطن العربي ممّا يسهّل الدارسين للحصول الفوري على معلومات معتمد عليها وتوظيفها لأغراض التعلّم والاستعمال في الأنشطة التقديمية أو في إجراء المناقشة والمناظرة.

إنّ التعليم والتعلّم الافتراضي مترابطان ارتباطا وثيقا ولن يستغني الطالب عن الأستاذ ولا الأستاذ عن طلّابه المتعاونين في غرفة الصف الإلكتروني أو المكاني على حدّ سواء فهي علاقة فريدة من نوعها بين أفراد كلّ واحد منهم فريد بخصوصياته. وقد أصبحت عملية التعليم والتعلّم

الافتراضية من عادات عصر الرقمنة وستظلّ تتطوّر وتواكب التقدّم التكنولوجي الذي يتمّ لأجلها ولتحقيق أغراضها في بيئات افتراضية فريدة وخاصّة بالعملية التعليمية-التعلّمية.

إنّ التعليم والتعلّم الافتراضي سيظل يلعب دوراً مهمّاً في اكتساب اللغة العربية لغةً ثانية بكل ما يتطوّر من الأدوات التكنولوجية والمواقع الإلكترونية لتصميم الأنشطة الافتراضية بالارتباط الوثيق بمواقف الحياة الحقيقية ممّا يزيد من جودة تعلّم الدارسين – لغويا وتواصليا.

قائمة المراجع:

- خالد أبو عمشة (2017). "إستراتيجيات تعلّم اللغة العربية لغة ثانية أو أجنبيّة" // تعليم جديد: أخبار وأفكار تقنيات التعليم
https://www.new-educ.com/%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%91%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9
- ساجدة سالم أبو سيف (2019). "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها "عن بعد" - الواقع والمأمول. دراسة مقارنة مع مواقع تعليم الانجليزية كلغة ثانية" // قسم اللغة العربية - جامعة كيرالا – الهند
https://www.academia.edu/43263671/%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9_%D9%84%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B7%D9%82%D9%8A%D9%86_%D8%A8%D8%BA%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7_%D8%B9%D9%86_%D8%A8%D8%B9%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9_%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%84
- Hercik, P. et al. (2015). “Language Skills Development in E-learning Language Courses" // Procedia - Social and Behavioral Sciences 182, 653 – 659
- Howatt, A. (1984). A History of English Language Teaching, Oxford University Press
- McConnell, D. (2002). Implementing Computer Supported Cooperative Learning, 2nd Ed., London: Kogan Page
- Mitchell-Holder, S. “Let’s talk effectively communicating with your online students" // Humanizing Online Teaching and Learning. Stories from the participants of the #HumanMOOC. Whitney Kilgore Ed., available at https://humanmooc.pressbooks.com/chapter/lets-talk-effectively-communicating-with-your-online-students/
- Skocheva, E. (2018) Development of communication skills through an electronic course in Bulgarian as a foreign language for medical purposes. Abstract of a PhD Dissertation. Sofia: University of Sofia “St. Kliment Ohridski" (in Bulgarian)